إهداء

أقدم هذا العمل المتواضع هدية إلى والدي العزيز (رحمه الله) وإلى أمي الغالية (أطال الله في عمرها)

المقدمة

لكل حضارة عبر عصور التاريخ صفاتها التي تميزها عن غيرها من الحضارات الأخرى التي تكسبها طابعاً مميزاً خاصاً عن الحضارات السابقة عليها و اللاحقة بها ، و قد كانت الحضارة الإسلامية باعتراف الجميع شرقاً و غرباًمن أعظم الحضارات التي عرفها العالم لما تحتويه من صفات إنسانية و عالمية هدفت إلى خير الإنسان و سعادته و العمل على السمو به إلى أعلى المستويات روحياً و فكرياً و معيشياً .

ومن هذا المنطلق فقد حفلت الحضارة الإسلامية بالكثير من المؤسسات التي تتباين في أصولها وتكوينها و طابعها العام و أهدافها ، ولكنها ترتبط مع بعضها البعض برباط مشترك هو خير الفرد و المجتمع. فمنها ذات الصفة الدينية كالمساجد و الزوايا و الخانقاوات ، و منها ذات الصفة الاجتماعية كالحمامات و الأسبلة و البيمارستانات ، ومنها ما اتخذ طابعاً اقتصادياً كالوكالات و الخانات و الفنادق و الأسواق ، ومنها ما استهدف تحقيق رسالة علمية و تعليمية كالمدارس و المكاتب ودور الحكمة و العلم .

يعتبر بناء المدارس في العصر السلجوقي نقلة نوعية في المؤسسة التعليمية و أثرها على التطور الحضاري و قد ازداد بناء المدارس في العصور اللاحقة ، وكان الأيوبيون من المهتمين بهذه المنشآت التعليمية و قد حظيت مدن بلاد الشام ومصر بالعديد من هذه المدارس و خاصة مدينتي حلب و القاهرة و قد كانت لها أهداف كثيرة بالإضافة إلى وظيفتها التعليمية في دعم مذهب معين و الدعوة له ، تخليد الذكر ، تدريس علوم دنيوية إلى جانب العلوم الدينية و التماس الخير و الثواب وازدياد طلاب العلم.

كان من الطبيعي على رجل كصلاح الدين الأيوبي الوقوف على أبعاد تلك المشكلة وكيفية التعامل معها ، وذلك أثناء وزارته للعاضد آخر الخلفاء الفاطميين من سنة 565-567هـ/1169-1171م ، فقد كانت أحلامه لا تتوقف عند حد إعادة مصر إلى أحضان

الخلافة العباسية ببغداد، بل تعدت إلى مواجهة أطماع الصليبيين في بلاد الشام ومصر وكان موجبات هذه الخطوات إعادة بناء الوحدة الإسلامية بين مصر وبلاد الشام من الناحية الدينية والثقافية ؛ وذلك بقصد الوصول إلى وحدة الهدف ، لا سيما إذا كانت المشكلة الرئيسية في مصر أمام صلاح الدين هي إحياء المذهب السني بها من جديد ، وكان من الطبيعي أن يلجأ صلاح الدين إلى الإستعانة بالأساليب التي اعتمدتها الدولة السلجوقية في مواجهة هذا الخطر بفارس والعراق ، التي كان من أهمها إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة المعروفة بالمدارس. وهي مخصصة لدراسة مذاهب أهل السنة الأربعة (الشافعي، الحنفي ، المالكي ، والحنبلي) وقد ظهرت هذه المدارس في مصر قبيل العصر الأيوبي بصورة ضعيفة ، وقد تركزت كلها في مدينة الإسكندرية ، أما مدينة القاهرة فلم يكن يوجد فيها مدارس قبل صلاح الدين وخلفاءه ، أما في حلب فقد أقام الزنكيون المدارس فيها بكثرة، و قد كان يوجد في حلب نفوذ للشيعة أيضا ، ولكن الزنكيين عملوا على تقليصه، إن بناء المدارس في مدينتي حلب والقاهرة لعب دوراً بارزاً في دعم وحدة الصف الإسلامي وكذلك عمل على إحياء العلوم الشرعية.

قسمنا هذا الكتاب إلى: **مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة**. وقد تناول**الفصل الأول** المراكز التعليمية في مدينتي حلب والقاهرة قبيل العصر الأيوبي ، فتناول أولا لمحة جغرافية عن المدينتين المذكورتين، وسبب تسمية كل منهما ، ومن ثم الحديث عن المساجد والربط والمدارس في حلب في العصر الزنكي الذي سبق العصر الأيوبي في حلب ، بالإضافة إلى بيان دور الجامع الأموي الكبير في حلب ودوره في التعليم، فقد وجد فيه زاويتان: واحدة للمذهب المالكي والأخرى للمذهب الحنبلي ، و ذكر الباحث المدارس في حلب مقسمة بين المذهبين الشافعي والحنفي، كما لعبت مساجد القاهرة في العصر الفاطمي دوراً بارزاً في التعليم، ولكن كان التعليم مسخراً لخدمة المذهب الاسماعيلي الشيعي مذهب الدولة الفاطمية ومن أبرزها الجامع الأزهر، وكان لدار العلم أو الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله

386-411هـ/986-1021م دور كبير، كما أن التعليم في العصر الفاطمي كان يتم في قصور الخلفاء الفاطميين ودور الكتب وغيرها .

وفي الفصل الثاني وعنوانه :" المدارس الأيوبية في مدينتي القاهرة وحلب" تناول المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة مدرسة ، وتطور المدارس حتى العصر الأيوبي ، والأسباب التي أدت إلى ظهور المدارس ، ومن ثم قسم المدارس في المدينتين المذكورتين في ذلك العصر إلى:

- مدارس خصصت لتدريس المذهب الشافعي في مدينة القاهرة ، وهي تسع مدارس ، وفي مدينة حلب أيضاً، وهي إحدى عشرة مدرسة.

- مدارس خصصت لتدريس المذهب الحنفي في مدينة القاهرة ،وهي ست مدارس ، وفي مدينة حلب سبع عشرة مدرسة.

- مدارس خصصت لتدريس المذهب المالكي في مدينة القاهرة وهي أربع مدارس ، أما في مدينة حلب فلم توجد مدارس مالكية .

- مدارس خصصت لتدريس المذهب الحنبلي في مدينة القاهرة، و وجد فيها مدرسة واحدة. أما في حلب فلم توجد مدارس للحنابلة بها.

- مدارس خصصت لتدريس مذهبين معاً: الشافعي والمالكي وجد في مدينة القاهرة مدرسة واحدة ، وفي مدينة حلب مدرسة واحدة أيضاً،أما المذهبان الشافعي والحنفي فلم يوجد أي مدرسة لهما في مدينة القاهرة ، بينما وجد مدرستان في مدينة حلب ، والمذهبان المالكي والحنبلي لم نعثر على ذكر لأي مدرسة في القاهرة تختص بهذين المذهبين ، بينما وجد في مدينة حلب مدرسة واحدة لهذين المذهبين.

- مدارس خصصت لتدريس المذاهب الأربعة ، لم نعثر في مدينة حلب على أي مدرسة مختصة بالتدريس على المذاهب الأربعة في العصر الأيوبي . بينما وجد في مدينة القاهرة المدرسة الصالحية .

– مدارس لم تدرّس المذهب الذي خصصت من أجله، وجد في مدينة القاهرة ثلاث مدارس، وفي مدينة حلب مدرستان.

حاولنا تتبع أخبار كل مدرسة من تلك المدارس على حدة ، من ناحية موقعها وتاريخ إنشائها وأهم من تولى التدريس بها ، ومن ثم عملنا مقارنة بشكل عام بين مدارس القاهرة وحلب.

– **أما الفصل الثالث وعنوانه** : "التنظيمات المالية والإدارية لتلك المدارس" ، فتناول موارد التمويل من أوقاف وهبات وزكاة وغيرها لتلك المدارس ، وكذلك عمدنا إلى تمييز المدارس السلطانية، أي التي بناها الحكام الأيوبيين عن المدارس التي بناها الأمراء والعلماء والتجار من حيث أوقافها وبنائها ، وكذلك التنظيمات الإدارية داخل المدارس، والموظفين الذين يعملون فيها و أهمهم : المدرسون، والمعيدون، والإمام، والقارئ، وطلاب المدارس ، ثم تكلم الباحث عن أساليب التعليم داخل هذه المدارس وطرق التدريس ، وآداب الدرس، والإجازة، وعلاقة المدرسين بطلابهم ، ومن ثم عن الأقسام الرئيسة في تلك المدارس من قاعات الدرس ومساكن الطلاب والمكتبة والحمام وغيرها.

– وانتقل الباحث في **الفصل الرابع وعنوانه**: "العلوم التي كانت تدرّس في المدارس الأيوبية في مدينتي القاهرة وحلب" للتحدث عن العلوم الشرعية التي تضم علم القراءات والتفسير والفقه والحديث، وأبرز أعلام هذه العلوم ممن درّس في المدارس الأيوبية ، وكذلك علوم اللغة العربية من نحو و أدب وشعر وبلاغة وأبرز من اشتهر بها ، وتناول أيضا الدراسات التاريخية وأبرز أعلامها، وكذلك تحدثنا عن مؤلفاتهم العلمية في كل علم على حدة.

– **جاء الفصل الخامس بعنوان** : "الدور السياسي والحضاري للمدارس الأيوبية في مدينتي القاهرة وحلب" ، الذي تكلم فيه عن الدور السياسي الذي لعبته المدارس، وكذلك

دور علمائها في المجال السياسي، وتأثيرهم على بعض الحكام الأيوبيين، وكذلك الدور الحضاري لهذه المدارس من دور اجتماعي واقتصادي، وكذلك الدور العلمي والثقافي من خلال فك العزلة الثقافية عن مصر الإسلامية وازدهار العلوم الدينية والمناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء . و أخيراً استعرضنا نماذج من مدارس القاهرة وحلب الباقية حتى الآن لنتعرف على السمات المعمارية للمدارس المصرية والسورية، ورصدنا أوجه التشابه والاختلاف بينهما. بعد تلك الفصول جميعا **الخاتمة**: التي اشتملت على نتائج البحث.

وأخيراًما كان لهذا العمل أن يظهر بهذه الصورة لولا مساعدة الكثير من الأساتذة والأصدقاء فأشكرهم جميعاً وأخص بالشكر أ.د فتحي عبد الفتاح أبو سيف، و أ.د أحمد رمضان أحمد (رحمه الله)، والدكتور محمد حسام الدين إسماعيل. أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصنا لوجهه الكريم ، وإن كنت قد أصبت فالتوفيق من الله وحده، وإن كانت الأخرى فحسب المرء شرف المحاولة.

والله ولي التوفيق،،،،،،،،

وليد عبد الرحمن الأخرس